

أفعال النبي – صلى الله عليه وسلم –
تجاه بيت المقدس

إعداد الدكتور

نذير عدنان الصّاحي

دكتورة الفقه وأصوله

عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

رئيس جمعية القبة الثقافية – الأردن

ملتقى منبر الأقصى – مؤسسة منبر الأقصى الدولية
اسطنبول (27 – 29 / 7 / 2018 م)



توجهت عين النبي إلى ما كان يهوى قلبه (إلى الشام / بيت المقدس) ، وذلك بعد الاستقرار والهدوء الذي ساد المدينة المنورة ومكة المكرمة (بعد صلح الحديبية في العام السادس للهجرة) ..

وذلك لأهميتها العقدية والاستراتيجية ..

ولهذا اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم جملةً من التدابير ليقطف ثمرة فتح بيت المقدس في حياته .. وليضمها بعد ذلك إلى عقد المقدسات الثلاث .. التي لا تشد الرحال إلا إليها ..

فإن لم يقطف النبي – صلى الله عليه وسلم – تلك الثمرة في حياته ..
فهو عليه الصلاة والسلام **مهندس الفتح وراسم خطواته وخطته** ..
والمحفز عليه ..

فما كان من الصحابة رضي الله عنهم إلا أن ساروا على ذلك الطريق
حتى أحرزوا النصر .. وفتحوا تلك الأرض ..

واستمتعت جباههم بسجادات طويلة .. على أجمل البقاع ..
أرض المسجد الأقصى المبارك ..

...

وقد انقسمت خطة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الفتح إلى
قسمين هما :

أولاً : تصرفات فعلية يهدف النبي - صلى الله عليه وسلم - من ورائها
إلى الفتح وتهيئة الظروف له ..

ثانياً : صناعة رأي عام في المجتمع المسلم يهدف للفتح ويسعى إليه ..
بل ويبذل الأفراد وأبناء المجتمع أنفسهم رخيصةً لأجله ، تمثل في
عددٍ من الأحاديث النبوية الشريفة .

وكلا الأمرين لا يقل أحدهما عن الآخر أهمية .. فكلاهما مطلوب وهو من بذل
الأسباب

برأيك ..

ما هي الأفعال التي تعتقد بأن النبي – صلى الله عليه وسلم فعلها في حياته ليقطف ثمرة النصر ويحرر المسجد الأقصى من خلالها

???

أفعال وتصرفات النبي – صلى الله عليه وسلم – تجاه بيت المقدس في حياته

وقد تمثلت تلك التصرفات في جملةٍ من الأفعال .. كان منها :

أولاً : إرسال الكتب للملوك / هرقل

ثانياً : الإقطاعات التي أعطاها النبي صلى الله عليه وسلم في أرض

فلسطين / اقطاع تميم الداري .

ثالثاً : المعاهدات التي عقدها عليه الصلاة والسلام مع القبائل العربية

على الطريق الواصل لبيت المقدس / معاهدة أيلة

رابعاً : خطوات عسكرية على أرض الشام (الغزوات والسرايا) .

(مؤتة ، تبوك ، بعث أسامة)

تدريب ..

كل مجموعة ستقوم بأخذ فعل من الأفعال السابقة لتستخرج
أهمية هذا العمل وأثره في فتح بيت المقدس (الفتح الأول)

أولاً : إرسال الكتب للملوك (7هـ)

إرسال الكتب .. ومن أهمها كتاب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى هرقل .. وقد كان وقتها في القدس ، عندما جاءها شاكرًا الله على النصر على الفرس .

وقد أرسل الرسالة مع دحية الكلبي – رضي الله عنه – .

وقد سأل هرقل أبا سفيان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكيف هو فيهم ، نسباً وصدقاً واتباعاً ... فأجابه أبو سفيان صادقاً **مخافة أن يعرف عنه الكذب أو يعير به ..**

فقال هرقل :

” فإن كان كما تقول حقاً ، فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه ، لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ” صحيح البخاري وصحيح مسلم

وذكر ابن كثير : بأنه استشار الأسقف الأكبر عنده والذي بدوره أشار عليه بالإسلام وقال له :

” هو والله الذي بشرنا به موسى وعيسى والذي كنا ننتظره .. ولكني إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم ”

وفي روايةٍ عن ابن اسحاق أنه أمر دحية بإعطاء الكتاب لذلك الأسقف والذي بدوره رد بقبول دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وبشارته ، وأعلن ذلك للروم الذين وثبوا عليه وثبة رجلٍ واحدٍ فقتلوه ، فذكر دحية الأمر لهرقل فقال له :

” قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا، وضغاطر (الأسقف) كان والله أعظم عندهم مني ” .

وأرسل معه الهدايا لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – .

وجاء عند ابن حجر بأن رسالة النبي بقيت محفوظة ، ووضعها هرقل في قصبَةٍ من ذهب تعظيما لشأن النبي – صلى الله عليه وسلم – .

وقد كان لهذه الرسالة أثر كبير ودلالات مهمة في طريق السير تجاه بيت المقدس وتحريرها .. ومن أهم هذه الإشارات :

1- فتوقيت إرسال الرسالة يحمل دلالة هامة ، حيث وصلت إلى هرقل في إيلياء (بيت المقدس) ، ما يدل على توسع يبحث عنه النبي تجاه هذه البقعة من الأرض ، إما من خلال جهد دبلوماسي أو جهد عسكري ، وذلك من خلال قول النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة : ” أسلم تسلم ” .

2- ثمة دلالة مهمة في قول هرقل : ” فسيملك موضع قدمي هاتين ” أي سيملك بيت المقدس قريباً وستحكم هذه الأرض بحكمه (حكم التوحيد) الذي يستحق أن يحكم كل الأرض ومنها بيت المقدس .

ثانياً : الإقطاعات

ونقصد بالإقطاع : منح النبي - صلى الله عليه وسلم - شخصاً أو مجموعة من الأشخاص قطعة أرضٍ لهم ولعقبهم من بعدهم .

وقد منح النبي - صلى الله عليه وسلم - بعض القطع من الأرض لبعض الأشخاص ، وكان يميز هذه القطع أنها كلها تحت حكمه - صلى الله عليه وسلم - مجموعة الوثائق السياسية محمد حميد الله ، 157 وما بعدها إلا أنه في بعض الأحيان (وهي قليلة) منح أرضاً لم تكن تحت حكمه بعد ...

فما هي هذه الأرض؟؟ ولمن منحها؟؟

اقطاع النبي - صلى الله عليه وسلم - لتميم بن أوس الداري حبرون وبيت عينون (الخليل وبعض قراها)

يرجع إلى كتاب بيت المقدس في استراتيجية النبي صلى الله عليه وسلم / د. عبد الله معروف

نص الكتاب النبوي :

” بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري أن له قرية حبرون وبیت عينون قريتهما كلها وسهلها وجبلها وماءها وحرثها وأنباطها وبقرها ولعقبه من بعده ولا يُحَاقُّه فيها أحد ولا يَدْجُها عليهم أحد بظلم ، فمن ظلم واحداً منهم شيئاً فأَن عليه لعنة الله “

كتاب الخراج لأبي يوسف / ص 132

قيل بأن هذا الإقطاع أعطاه النبي لتميم عندما قدم عليه ليدخل في الإسلام بمكة المكرمة ، أي في بدايات الدعوة الإسلامية ، وأنه أعاد تجديد الوعد والعهد مرة أخرى عند هجرته إلى المدينة المنورة ، وتذكر بعض الروايات ولعلها الأقوى أنها كانت في المدينة المنورة إذ إن فكرة الإقطاع لم تكن قد ظهرت بعد في مكة والظروف لم تسنح لمثل هذا ..

وقد جدد الوعد أبو بكر الصديق في خلافته نيابة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ووفى بالوعد عمر بن الخطاب في خلافته عندما فتحت فلسطين وبيت المقدس .

وقد أوقفها تميم الداري - رضي الله عنه - على ذريته وعلى خيرات
حددها ، فهو أول وقف في الإسلام في أرض فلسطين .

وقد ذكر المقدسي في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " :
... وجود دار ضيافة دائمة مع خباز وطباخ وخدام يقدمون العدس
بالزيت لكل حاجّ أو زائر يمر بمدينة الخليل ، وهذه الضيافة والإطعام من
وقف تميم الداري رضي الله عنه .

ومن أهم الدلالات التي يحملها اقطاع النبي صلى الله عليه وسلم –
حبرون (الخليل) للصحابي تميم بن أوس الداري :

أولاً : عادة النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه لا يُقَطِّعُ أرضاً إلا إن
كانت تحت حكمه ، ولكن في هذه المرة كان الإقطاع خارج
حدود حكمه ، بل كان في بيت المقدس ، ولعل هذا يحمل
بشارةً منه عليه الصلاة والسلام بقرب الفتح لبيت المقدس ،
وانضوائه تحت لواء المسلمين ، بل إن البعض عد هذا
الإقطاع نوع من إعلان الولاية على هذه الأرض .

ثانياً : وفي ذلك أيضاً تهية للصحابة وتحفيز لأجل الفتح ، بما أن
الفتح بات قريباً .. فهم أدواته .

ثالثاً : تذكر الروايات وهي الأدق - في الأغلب - بأن هذا الإقطاع كان
بعيد غزوة تبوك ، وهذا يدل بأن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ
يخطط فعلاً لفتح بيت المقدس .

رابعاً : هذا الإقطاع يوضح دراية النبي - صلى الله عليه وسلم بأرض
بيت المقدس وما حولها ، ولولا معرفته بها لما أقطعه إياها ، الأمر
الذي يبين اهتمام النبي - صلى الله عليه وسلم - بجغرافيا تلك
الأرض .

ثالثاً : معاهدات النبي – صلى الله عليه وسلم – على الطريق الواصل بين المدينة المنورة والشام

عقد النبي – صلى الله عليه وسلم مجموعة من المعاهدات مع مجموعة من القبائل على الطريق الواصلة إلى المدينة المنورة .. ولعل من أهم المعاهدات التي عقدها النبي – صلى الله عليه وسلم ، تلك المعاهدات التي أبرمها مع القبائل التي تقع في الطريق الموصلة إلى بيت المقدس والتي كان من أهمها معاهدة أيلة مع يحنة بن روبة (صاحب أيلة) الذي جاء هو إلى النبي صلى الله عليه وسلم طالباً الصلح ودافعاً الجزية .

وأيلة منطقة ساحلية على البحر الأحمر تعرف اليوم بالعقبة (تقريباً)

نص المعاهدة

” بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ أَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ، وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِيُحَنِّتَ بَنَ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةٍ، سَفُنُهُمْ وَسَيَارِئُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ.. وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ.. وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءَ يَرِدُونَهُ، وَلَا طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ.. “ .

ولقائل أن يقول بأن هذه المعاهدات تدخل ضمن
اختصاص الدولة ولتأمين الطرق الخارجية لرعاياها ، فما
دخل هذه المعاهدات بفتح بيت المقدس ???

والجواب يكمن في نقاط

أولاً : هذه المعاهدة تمثل ظهور قوة جديدة على الساحة تقارع قوة الرومان والفرس ، حتى بدأت القبائل تتسابق إلى الانضواء تحت رايتها لتحميهم ، وهذا يمثل بسط نفوذ للدولة الإسلامية على مسافات شاسعة من الأرض ، ما يمثل بأن النفوذ القادم إلى الشام هو نفوذ المسلمين .

ثانياً : أيلة منطقة بحرية تمثل ميناء بحرياً للقادم من البحر من الجزيرة العربية ، وهي منفذ بلاد الشام من تلك النقطة ، فكأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أراد من خلال هذه المعاهدة تأمين كل الطرق التي من الممكن أن يحتاجها جيش الفتح القادم حتى لو كان هذا الطريق بحرياً .

ثالثاً : عمد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى وضع بندٍ من بنود المعاهدة اشترط فيه على أهل أيلة ضيافة من جاءهم من المسلمين ؛ وتأمينهم بالطعام والشراب الذي يطلبونه ، وهذا البند يسهل حركة الجيش المسلم المار بتلك البقعة من الأرض وذلك من خلال تزويدهم بما يحتاجون إليه في أثناء سيرهم ضيافةً وشراءً .

رابعاً : قيام النبي – صلى الله عليه وسلم –
ببعض الخطوات العسكرية (الغزوات والسرايا) تجاه الشام

عمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مجموعة من التحركات العسكرية ،
فخرج هو في بعضها وأرسل صحابته رضي الله عنهم في أخرى ، وقد
استهدفت تلك التحركات أرض الشام ومن أهمها :

أولاً : غزوة مؤتة

والتي كانت في العام (8هـ) ، وقد كانت هذه المعركة أول خروج تجاه الشام ، للقاء الروم الذين اعتدى عاملهم الغساني على رسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ملك بصرى ، فقتله ، فأخرج النبي – صلى الله عليه وسلم – الجيش منتقماً ..

وتعد هذه الغزوة ردة فعل من النبي على الاعتداء الذي تعرض له المسلمون

..

ثانياً : غزوة تبوك

والتي كانت آخر غزوة غزاها النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته ، **وتعد حركة استباقية على عدوان الروم** ، الذين جهزوا عدتهم وعتادهم لمداجمة المدينة المنورة ، فخرج لهم النبي صلى الله عليه وسلم لرد عدوانهم ، وتخفيف أضراره ، وكانت هذه الغزوة في العام (9 هـ)

.

وقد حَدَّثَ النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة وأثناء وجوده في أرض الشام ببشارة قرب فتح بيت المقدس حيث جعل ست علاماتٍ على قرب وقوع الساعة ومنها :

- أ- وفاته (صلى الله عليه وسلم) . التي ما لبث أن عاد حتى تحققت
- ب- فتح بيت المقدس .

ثالثاً : بعث أسامة بن زيد

ويعد هذا البعث هو أول إرسالية عسكرية يبادئ فيها النبي صلى الله عليه وسلم الروم في الشام من غير أن يكون خروجه للقائهم ردة فعل على اعتدائهم أو غزوهم للمسلمين ، ما يعني إرادة واضحة وصریحة في إقبال النبي صلى الله عليه وسلم على فتح الشام في طريقه إلى بيت المقدس .. حتى ينعم المسلمون بالصلاة في مسجدهم الأقصى .

فما أن أتاحت الفرصة حتى جهز بعث أسامة بن زيد وكان ذلك قبيل وفاته بأيام ، وكان التوجه تجاه الشام وبيت المقدس من أواخر خطوات حياته صلوات ربي وسلامه عليه - .

وقد عاد هذا الجيش إلى المدينة في مرض وفاة النبي ، وما أن دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سارع أبو بكر الصديق – رضي الله عنه بتنفيذ خطة النبي للفتح فأرسل ذلك الجيش إلى الشام .

وقد ذكر الواقدي مقالة أبي بكر الصديق بشأن عزم النبي على الفتح قائلاً :
” واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عوّلاً أن يصرف همته إلى الشام فقبضه الله إليه ، إلا وإني عازم على أن أوجه أبطال المسلمين إلى الشام بأهلهم ومالهم ، فإن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنبأني بذلك قبل موته ”
(هذه المقالة كانت قبيل توجيه الجيوش للفتح الإسلامي إلى الشام)

حتى قال هرقل .. (ما بال هؤلاء بموت صاحبهم أن أغاروا على أرضنا) ...

فهذه خطوات النبي – صلى الله عليه وسلم الفعلية التي خطاها تجاه الفتح
القدس المبارك ..

فما لبث الصحابة رضوان الله عليهم أن فهموا مقصده ، فسارعوا إلى التنفيذ
والتحرير ..

فما هي إلى سنوات .. وتسجد جباههم في محراب المسجد الأقصى المبارك ..

رزقنا الله وإياكم صلاة المحررين في الأقصى الحبيب ..

دمتم ودمنا حراساً للمسجد الأقصى المبارك ..

د. نذير عدنان الصّالحي



